

## الحرية الروحية في منظر ميخائيل نعيمه وطرق الوصول إليها

سردار اصلائي\*

افسانه خواجه گودرى\*\*

### الملخص

الحرية من أجل الكلمات في القاموس البشري وهي بمعنى القدرة على التصرف ببلء الإرادة والاختيار مع صيانة حقوق الناس في الغرب، وإضافة إلى هذه تضاف حقوق الله والناس في الإسلام أيضا. والحرية ضربان: الأول منهما الحرية الاجتماعية، هي أن يكون الإنسان حرًا في تصرفاته الفردية والاجتماعية؛ أي لم يكن الآخرون مانعين في سيره نحو نموه وأهدافه عن طريق حبسه وإجباره أو استثماره أو استخدامه في الأمور. أما الثاني منهما فالحرية الروحية؛ فمعناها يرجع إلى نفس الإنسان بحيث أن تكون نفسه حرة من كل القيود السلبية الرادعة. وهناك صلة وثيقة بين الحرية الروحية والحرية الاجتماعية. وعندما يصل الإنسان إلى الحرية الروحية فحينئذ يستحق له الحرية الاجتماعية. في المقال هذا، ندرس آراء نعيمه حول الحرية المثالية والطرق التي سلكها تهدي الإنسان المفتش عن الحرية إليها في آثاره في المنهج الوصفي - التحليلي. ونحاول أن نبين عوائق الوصول إليها أيضا. والهدف الرئيس لهذه الدراسة كيفية اقتراح نعيمه للوصول إلى الحرية.

الكلمات الدليلية: ميخائيل نعيمه، الحرية الروحية، المعرفة، الإيمان، الرذائل

الأخلاقية.

Aslani@fgmui.ac.ir

\*. جامعة إصفهان، إيران. (أستاذ مساعد).

\*\* جامعة إصفهان، إيران. (خريجة مرحلة الماجستير).

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. حسن شوندي

تاريخ القبول: ١٣٩١/١١/١ هـ. ش

تاريخ الوصول: ١٣٩١/١٠/٩ هـ. ش

## المقدمة

نرى في رؤية الأدباء والعلماء والفلاسفة تقديم الحرية بشتى الطرق. قد ظهر نعيمة في العصر الذى يملأ جوه بالدعوة إلى الحرية، فطبعى أن نراها عنده أيضا. والحرية هى الهدف الأسمى التى تهدفها الكائنات كلها وفى رأسها الإنسان. وهو يستطيع الوصول إليها عن طريق الوصول إلى معرفة الإنسان نفسه، بحيث توصله إلى معرفة الله، وهذه المعرفة هى الإيمان بعينه، فالمعرفة والإيمان أهم طرق الوصول إلى الحرية الروحية.

نتحدث فى المقال هذا بعد إشارة عابرة إلى حياة نعيمة وعزله وآثاره مع الاهتمام بمنزلته السامية، عن أسس الحرية عنده للوصول إلى هذا المهّم وروادع الوصول إليها. فالمعرفة من أهم الطرق فى سبيل الحرية الروحية؛ لأنه عندما يعرف الإنسان نفسه يحررها من كل القيود. وأمّا الإيمان فهو من أهم طرق الوصول إليها أيضا. فنرى عندما يصل الإنسان إلى الإيمان الحقيقى فهو سيحرر من قيد سائر العبوديات. بعد ما سبق من القول، فإن هدفنا من اختيار هذا الموضوع هو تعريف الحرية الروحية من منظور نعيمة وسبل الوصول إليها وعلى إثرها مساعدة المجتمع الإنسانى فى معرفة الأزمات الفكرية والاجتماعية، ومساعدتهم للوصول إلى الحرية الروحية، لأنها مقدمة للحرية الاجتماعية. والمحور الأساس لهذا المقال هو معرفة رؤية نعيمة عن الحرية وأساسها عنده واكتشاف طرق الوصول إليها.

## خلفية البحث

الحرية الروحية من أهم الموضوعات التى قد بحثت مرّات كثيرة. فقد درست آثار ميخائيل نعيمة فى بعض المواضيع، وطبعت مقالات حول أدبه؛ منها: أطروحة "صلة الأدب بالأخلاق فى آثار ميخائيل نعيمة" لعلى أحمدى نوقشت فى جامعة أصفهان بإشراف الدكتور سردار اصلافي. كما كتبت المقالات الكثيرة حول هذا الأديب وأدبه منها: «آراء ميخائيل نعيمة النقدية» لـ «حسن دادخواه، وسكينة پرهيزگارى»، "فى غربال ميخائيل نعيمة" لـ "حبيب زحلاوى"، و"مقارنة أدبية بين "العقاد" وديوانه و"ميخائيل نعيمة" و"غرباله" تأليف "قاسم مختارى، ومریم بخشنده" و"ميخائيل نعيمة

منهجه في النقد واتجاهه في الأدب" لـ "بدوى طبانه"، وأما عن الموضوع هذا فلم نعثر على بحث أو كتاب.

### نبذة عن حياة ميخائيل نعيمة وآثاره الأدبية

أطلّ ميخائيل نعيمة على هذا العالم في سنة ١٨٨٩م في قرية بسكنتا في لبنان. قام منذ طفولته بكسب اللغة والأدب والعلم في شتى الفروع. له صلة وثيقة «بنسيب عريضه» في رأس مجلّة «الفنون» فراح نعيمة ينشر مقالات فيها، وعندئذ مال إلى جمعية «التبصوفية» الفكرية الفلسفية واستخدم هذه الآراء في التقمص، وميزان الثواب والعقاب والخير والشر. وفي سنة ١٩٢٠م أنشئت الرابطة القلمية التي من أهدافها الثورة على الجمود والتقليد والدعوة إلى الإبداع، وفي رأسها «جبران خليل جبران»، وانتخب نعيمة مستشارا لها. ويقول نعيمة في مقدمة قانون هذه الرابطة: «إن هذه الروح الجديدة التي ترمى الخروج بأدبنا من دور الجمود والتقليد إلى دور الابتكار في جميل الأساليب والمعاني، الحرية في نظرنا بكل تنشيط ومؤازرة، فهي أمل اليوم وركن الغد.» (خفاجي، ١٩٨٦م: ٣٩١) بعد هذه النشاطات الأدبية، اختار لنفسه صومعة في «الشخروب» لبعده عن فوضى المدنيات. قصده من هذه العزلة على حدّ تعبيره: «التأمل، وغربة الماضي، وتعربة النفس، وفتح كوى الروح لنور الله.» (نعيمة، ج ٢، ١٩٧١م: ٤٩) فهدفه من هذه العزلة سوى ما قاله نفسه هو التفكير في حقائق الكون وتركيب النفس ومعرفة الله تعالى وهذه كلّها ما قرّبه إلى الحرية الفردية، فلاشكّ في أنه رجل حرّ. وفي إثبات هذا الكلام، جدير أن نشير إلى شخصيته بأنّه يكره الدنيا وظواهرها كامال، كما يكره الحسد والبغض والطمع وغيرها من الصفات الرذيلة التي تعرقل وصول الإنسان إلى الحرية. وأما حياة نعيمة في مجال الأدب فهي حياة مثمرة قيّمة. له أكثر من ثلاثين مؤلفا في شتى فروع الأدب منها القصّة والمسرحية والأمثال والمراسلة والمقالات الأدبية والنقد الأدبي والنقد الاجتماعي الذي نراها في ما كتبه:

١. في فنّ المقالة: زاد المعاد (١٩٣٦م) والبيادر (١٩٤٥م) والأوثان (١٩٤٦م) وصوت العالم (١٩٤٨م) والثور والديجور (١٩٥٠م) وفي مهبّ الرّيح (١٩٥٣م) ودروب (١٩٣٢م) وأبعد من موسكو ومن واشنطن (١٩٧٥م) والمراحل (١٩٣٢م) ومقالات متفرّقة.

٢. في فنّ القصص: أكابر (١٩٥٦م) ومذكرات الأرقش (١٠٤٩م) ولقاء (١٩٤٦م) ومرداد (١٩٥٢م) واليوم الأخير (١٩٦٣م) ويا ابن آدم (١٩٦٩م) وكان ما كان (١٩٢٧م) وأبوطّة (١٩٥٨م) وهوامش (١٩٦٥م).
  ٣. في فنّ المسرحيّة: الآباء والبنون (١٩١٧م) وأيّوب (١٩٦٧م).
  ٤. في فنّ التّقد: الغربال (١٩٢٣م) وفي الغربال الجديد (١٩٧٣م).
  ٥. في فنّ السّيرة والتاريخ: جبران خليل جبران (١٩٣٤م) وسبعون (في ثلاث مجلّدات) (١٩٧٩م).
  ٦. في فنّ المثل: كرم على درب (١٩٤٦م).
  ٧. في فنّ المراسلة: رسائل (١٩٧٤م).
  ٨. في فنّ الشعر: همس الجفون (١٩٤٥م).
  ٩. في فنّ التأمّل: من وحى المسيح (١٩٧٤م).
- وقد عُنيّت دار العلم للملايين في بيروت بنشر «المجموعة الكاملة» لآثار ميخائيل نعيمة ما بين (١٩٧٩م) و(١٩٨١م) في تسعة مجلّدات ضخمة. (الفاخوري، ١٩٨٦م: ٣٧١)

### الحرية الروحيّة عند ميخائيل نعيمة

بسبب اغتراب الأدباء المهجريين وحنينهم واتّصال روحيتهم الشرقية بمادية الغرب أثر كبير فيما يؤدى إلى القلق الروحي والحيرة النفسية في نفوسهم، فهذا الأمر دفعهم إلى شتى الفنون: الحرية، الحنين إلى الوطن، الفخر بالشرق والعرب، والتغنى بالله والإنسان، ومعالجة الحياة والموت ووصف الطبيعة، والتساؤل والتأمّل، والحزن والألم. (خفاجي، ١٩٨٦م: ٣١٤-٣١٠)

وأما الحرية فميخائيل نعيمة كثيرا ما يهتمّ بالحرية الروحيّة في آثاره الأدبيّة، وقليلًا ما يهتمّ بالحرية الاجتماعيّة. ومحور حرّيته هو الإنسان، إنه يستطيع أن يكون حرًّا وإن يكن في سجن خلف الحصون المنيعّة. «من أهمّ أهداف الأنبياء هو الحرية الروحيّة أو بتعبير آخر تهذيب النفس أى الحرية الروحيّة» أيضا (مطهري، ١٣٨٤ش: ٤٠)، من ثمّ

الحرية التي يهدفها نعيمة حرية قيمة سماوية. إنه أديب رسالي، ورسالته نحو الفضائل الأخلاقية السامية كالحرية والمعرفة والإيمان ونفى الأخلاق السيئة. فيعتبر الحرية الهدف الأفضل للإنسان؛ لأنه يولد حراً ليعيش حراً، كما يقول: «الإنسان للحياة لا للموت. وللمعرفة لا للجهل. وللحرية لا للعبودية.» (نعيمة، مذكرات الأرقش، ١٩٧١م: ٧٦) ففي رأيه الحرية أولى من العبودية وهذه فكرة متجاوبة مع الإسلام ورواده. ويقول نعيمة في هذا المجال: «ما ولد الإنسان ليكون رقيقاً. وهو أبداً يحلم بالانعتاق من كل أنواع الرق. وستكون الحرية نصيبه في النهاية.» (نعيمة، ١٩٧٥م: ١٨٣)

الحرية التي يرسمها لنا نعيمة لا توجد في دساتير الدول، بل مأوى هذه الحرية هو قلب الإنسان؛ «وإن الحرية ليست في تحطيم حكم وتركيز حكم. بل في بناء قلب الإنسان وفكره ووجدانه وإرادته بناء لا مجال فيه للظلم والاستبداد والاستعباد. فالمجتمع الصالح لا يقوم إلا بأفراد صالحين. مثلما لا يقوم البناء الجميل إلا بحجارة جميلة. والعدل والحرية لا ينبعان من القانون، بل من القلب والفكر اللذين هما مصدر كل خير وشر. فمن شاء أن يبني للإنسان عالماً يسوده العدل وتظلله الحرية عليه أن يبينه أولاً وآخراً في قلب الإنسان وفكره.» (نعيمة، دُروب ١٩٧١م: ٥٢-٥١) فليس في اختيار أى قانون أو دولة أو حكم أن يحدّد الحرية بل اختيار هذا التحديد بيد القلب وصفاء روحه وخلوصه وعدالته. كما يقول: «علمتني الحرية أن أطلبها في روحى لاضمن سياجات الناس. وأفهمتني أن أفقر الناس أكثرهم سياجات وأشدهم عبودية من ظن أن في وسعه أن يستعبد سواه وأضعف الممالك أوفرها جنوداً وأضخمها أساطيل. وأذل الأمم أمة تتوهم أن في طاقة أمة أخرى أن تسلبها أو أن تهبطها الحرية.» (نعيمة، زاد المعاد، ١٩٧٢م: ٢٦) فالحرية التي يعتقد بها بعيدة عن القيود والحدود من ثم تختلف حرّيته عن الحرية التي يحتاج إليها المجتمع الإنساني وهي تشمل بعض الحدود والقيود. أمّا نعيمة فاعتقد بالحرية المطلقة التي نستطيع أن نقول ستحقق في عالم الخيال لا في عالم الواقع، فحرية نعيمة حرية مثالية في عالم الخيال لا عالم الواقع.

وهكذا خلق الإنسان مختاراً حراً في أدب نعيمة، بمعنى «أنه أعطى فكراً وإرادة. فليس الإنسان في أعماله كالحجر تدرجه فيتدحرج ويسقط متأثراً بجاذبية الأرض

دون أن تكون له أية إرادة، أو كالنبات ليس له إلا طريق واحد فبمجرد توافر شروط معينة ينمو بالشكل المعتاد. أو كالحیوان الذى يؤدى أعماله بتأثير غريزى، كلاً إن الإنسان يجد نفسه دائماً على مفترق طرق ليختار منها أيها شاء بملء حريته ووفق مشيئة ونوعية تفكيره وليس مجبوراً على سلوك أحدها لاغير وإنما الذى يعين أحد الطرق هو أسلوب فكره واختياره.» (المطهرى، ١٤٠٤ق: ٥٧)

### طرق الوصول إلى الحرية الروحية في أدب نعيمه الف) المعرفة

من الأهداف السامية التى يطلبها الإنسان هى الوصول إلى قمة الحرية، ولها طريق وهى "المعرفة" كما يرى نعيمه: «أن الحرية لا تكون إلا بالمعرفة.» (نعيمه، النور والديجور، ١٩٧٣م: ٤١) فعندما يعرف الإنسان كل شىء فهو يكون سيّد ما يعرفه فعندئذ هو حرّ ولا يحتاج إلى معرفة شىء، كما صرّح نفسه "أنا طالب معرفة" فواضح أنّه يطلب من وراء هذه المعرفة الحرية. لاحظنا خلال سيرنا في آثار نعيمه، إنه يحارب نفسه محاربة للوصول إلى المعرفة والحقيقة.

يعتبر نعيمه غاية عمر الإنسان هو الوصول إلى ذروة المعرفة. التى «لا تتال في مدرسة أو مدارس. ولا في فسحة معلومة من العمر. لا ولا في عمر واحد. بل نحن نلتقطها إذا عرفنا كيف نلتقطها- في كلّ لحظة من وجودنا- في اليقظة والنام، في الوطن والغربة، في الحياة والموت.» (نعيمه، زاد المعاد، ١٩٧٢م: ٤٧)

معرفة النفس أساس للمعارف الأخرى؛ لا يزال يدعو نعيمه إلى محاسبة النفس وتطهيرها، وهى من أهم الطرق التى اتّخذها للغلبة على موانع الحياة وغريلة ماضيه وزواله الشهوات والرذائل. عندما يسيطر الإنسان على نفسه يستطيع أن يعرفها معرفة كاملة وعندئذ تفتح له أبواب معرفة هذا العالم وخالفه. يبدأ كل شىء بنفس الإنسان. عندما يعرف الإنسان نفسه سيجد فيها كل شىء، وكلّ إنسان. عندما يفوز الإنسان بالخوض في خفايا نفسه يجد مفتاح أزماته في عالمه الخارجى. يقول سقراط: "اعرف نفسك؛ فيذهب نعيمه عندما الإنسان يسأل نفسه "من أنا؟"، في الحقيقة، جوابه على

هذا السؤال تقدمه لمعرفة القصوى أو بتعبير آخر هو معرفة الكون.

وستحقق معرفة "أنا" بالغوض في التفكير والتأمل العميق. يرى هذا الأديب عمر الإنسان فرصة لكسب المعرفة التي تؤدي إلى الثروة والمجد والعزة. وإن عزّة نفسه لتأبى عليه أن يكون نكرة. فويل ألف ويل على النفس التي تكون نكرة غير معرفة. بين الحرية والمعرفة صلة وثيقة بحيث عندما يسلك الإنسان طريق المعرفة ففي النهاية يصل إلى الحرية، وعندما يقطع الإنسان طريق الحرية فيستطيع الوصول إلى المعرفة، فالحرية والمعرفة رفيقان متلازمان، «المعرفة هي الطريق المؤدى إلى الحرية. فحيث لا معرفة لحرية وحيث لا حرية لا معرفة» (نعيمة، في مهب الريح، ١٩٧٢م: ٧٣-٧٢)، إذ مبدأ الحرية هو المعرفة والمعرفة الكاملة هي عين الحرية. إنه يعتقد: «المعرفة وحدها المعرفة الشاملة، الكاملة هي الحرية. والحرية وحدها هي المعرفة. أما بعض المعرفة وبعض الحرية فضرب من العبودية الغنية أبدا بالأزمات والمشكلات والنزعات ومختلف صنوف الولايات. والحرية منها براء.» (نعيمة، اليوم الأخير، ١٩٧٢م: ١٣٢-١٣١)

إنه يقترح لكسب المعرفة طريقين: أحدهما طويل ومتعرج وشائك جداً. ولكن في منعطفاته وبين أشواكه من يدفع المناظر والرياحين ما يدفع السائر فيه على السير أبعد فأبعد. فلا ينتهي إلى المعرفة. بل ينتهي إلى الموت. ذلكما هو طريق معرفة الخير والشر. إنه طريق مسدود. إلا أنه، بالنتيجة، يؤدى إلى المعرفة عندما يقنط منه السائر فيه فيعود يفتش عن الطريق الآخر. وأنا أحذركما منه لأنكما، إن سلكتماه، فسيكون اتكالكما على نفسيكما لا على. أما الطريق الثاني فأقصر من الأول بكثير. وليس فيه من المغريات مثل ما في الأول. والذي يسلكه لا يتكل على نفسه بل على. لذلك كان سلوكه أشق من سلوك الأول. لأنه ينطوى على التنازل عن "أنا" الموهومة التي على هديها يسير سالك الطريق الأول فلايزداد ضلال فوق ضلال. وإني لأعلم أنكما ستختارون الطريق الأول؛ لأنه يبدو أكثر إغراء من الثاني بما يثيره من اعتزاز في نفسيكما باستقلال ذاتكما عن ذاتي وبتكالكما على نفسيكما لا على. «(نعيمة، يا ابن آدم، ١٩٧٣م: ١٧٥-١٧٤) في رأى نعيمة، عندما يتعلم الإنسان كيف يعاشر الناس ويعيش معهم دون أية هواجس فعندئذ يكشف له أول الطريق إلى المعرفة.

إنه يرى عندما يخضع الإنسان للمعرفة ويستسلم لها فهذا الخضوع دالٌّ على حرّيته وعدم عبوديته. وعندما يصل إلى المعرفة والفهم فعندئذ يشعر بالحرية القيّمة التي تكون «ثمرة نادرة تنبت على شجره نادرة تدعى الفهم.» (نعيمه، كرم على درب، ١٩٧٢م: ١٠٤) كلٌّ من سار على الدرب وصل، فلانجد صرح الحرية دون المعرفة، ولانجد صرح المعرفة خالٍ من الحرية. نعيمه يحب نفسه حبًا كثيرًا لأنّه يحب الحياة وفي رأيه لاقيمة للحياة إلا بما تشتمل من الطموح إلى المعرفة والحرية والخير والعدل والجمال. إذ الحرية هذه تعطي الحياة معنى. فالحياة دونها هي سجن مظلم. «أن الحكيم لا يعرف للحياة غير معنى واحد. وذلك معنى الحرية. فحيث لحرية لاحياة. وكلّ ما يجد من حرية الحكيم هو موت له.» (نعيمه، صوت العالم، ١٩٧٣م: ٨٠) فالإنسان لا يزال يبحث عن حياة بعيدة عن الحرب، فهذه الحياة طريق وهي الحرية، وفي رأيه، الحرية روح الحياة، فالحياة بغير الحرية كالجسد دون الروح: «أنا لانفكّ نتشدّق بالحرية وبالسلم إذ نحن نقيّد الإنسان بالسلاسل فنُدفعه دفعا على الحرب. لأنّ الإنسان لا يتعشّق شيئًا تعشّقه للحياة. والحياة بغير حرية كالجسد بغير روح.» (نعيمه، ج ٣، ١٩٧١م: ١٤٨)

يجب على الذي يهدف الحرية أن تكون له إرادة الحرّ؛ لأن الإرادة التي لم تكن الحرّ وقد تكون في قيد الشهوات والأهواء؛ ولاستطيع أن تهدف الحرية وتصل إليها، «لاتكون الحرية بغير إرادة الحرّ.» (نعيمه، صوت العالم، ١٩٧٣م: ٨٤) الإنسان ذو عقل وشعور فهو يستطيع عن طريق هذا السلاح الحاد اختيار أفضل الطريق من الطرق التي تجعل أمامه في سبيل كماله وحياته المثلى.

الحرية أفضل الآمال وأسمى الطموحات التي يتمنى بها الإنسان، من يتدوّق الحرية يوما يتدوّق الألوهة. «والألوهة تعنى معرفة كلّ شيء والقدرة على كلّ شيء» (نعيمه، النور والديجور، ١٩٧٣م: ٩٩)، فعندما يجد الإنسان طريقه إلى النفس يجد طريقه إلى الله أيضا. فمعرفة النفس تؤدى إلى معرفة الله. الذي يملك على نفسه جدير بتاج الحرية التي من ثمرتها الطمأنينة والهدوء. وهكذا الاعتقاد بالله لا يبعد الحرية عن الإنسان بل يرتقى روح الحرية في الإنسان، في الحقيقة، عندما يكون الإنسان حرًا يستطيع اختيار الله وهذا الاعتقاد والاختيار يساوى الحرية دون أيّ جبر. يقول نعيمه: «غاية [الإنسان] من

وجوده معرفة نفسه. ومعرفته لنفسه تعنى معرفته الله. ومعرفته الله تعنى معرفة كل شىء. ومعرفته لكل شىء تعنى القدرة على كل شىء والاعتناق من كل قيد وحد. «نعيمه، صوت العالم، ١٩٧٣م: ١٤٤-١٤٣) إنه يرى معرفة الله في الإنسان هي نقطة الدائرة من الحياة. عندما يصل الإنسان إلى الحرية والمعرفة يستطيع أن ينمو ويتقدم. وكما أشرنا سابقاً؛ هذه الهدف الأعلى في حياة الإنسان لاغير، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ٩-١٠) كما يعتقد نعيمة: «هدف الإنسانية من وجودها هو معرفة كل شىء والقدرة على كل شىء» (نعيمه، صوت العالم، ١٩٧٣م: ٤١)، فتزكية النفس وتهذيبها تدفع الإنسان إلى معرفة الله.

وهكذا المعرفة والوعى طريقان إلى الحرية الكاملة فجدير بالإنسان أن يزيل ضباب الجهل والشك عن آفاق نفسه ويسير في سبيل المعرفة المؤدية إلى الحرية المثلى.

## ب) الإيمان

قطع طريق الحرية صعب جداً، فالذى يسلك هذا الطريق الموحش يحارب فيه الأهواء التي خيَّمت على قلبه ويساعده في هذه الحرب سلاح الإيمان لأنه أقوى من كل سلاح حديديّ وأقطع منه، كما يقول نعيمة في هذا الإطار: «إن سالك ذلك الطريق ليشعر بأنه أقوى من الزعازع والزلازل. وهو المحارب الذي لاينام على الضيم ولاثقل له عزيمة. أما أعداؤه فليسوا من لحم ودم. إنهم الشهوات السود التي تخيَّمت على قلبه. فهو، إذ يسعى إلى الحياة والحرية، لايعتمد في الدفاع عنهما على سلاح من الحديد والنار؛ لأنه يعلم أن الحديد يفله الحديد، والنار تأكلها النار ولكن يتسلح بالإيمان الذي هو أقوى من النار وأمضى من الحديد بما لايقاس. ومن كان ذلك شأنه من حياته كان ثابتاً في الزمان والمكان وثبوت الحياة» (نعيمه، في مهب الريح، ١٩٧٢م: ٣٢)، فالذى يتسلح بالحرية له قوة لاتصاب بالتغيير والزوال. وهذا الإيمان هو الهبة التي تعطى الإنسان لمحاربه النفس وظلمتها وآماله الكاذبة الواهية. عقل الإنسان وإرسال الأنبياء والكتب السماوية كلها يدل على الاختيار وإرادة الحر التي أعطاها الله للإنسان كما تدل هذه الآية على هذا المهم: ﴿لَوْشَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ (الأنعام: ٣٥) فالإيمان

مقدمة الحرية ودون الإيمان لانرى لونا من الحرية والذى يكون حرًا لا يُصاب بالعبودية وبالعكس الذى الذى يعبد ما فى قلبه من الأهواء ليس بحرّ.

«إنّ المؤمن يستطيع كلّ شىء، هذا كلام لا وشى فيه ولا تنميق. وهو أبعد ما يكون عن المبالغة. إنّ الحقيقة العاربية، السافرة. فالإيمان هو الكنز الذى إذا اكتشفه الإنسان فى قلبه بات فى غنى عن كنوز الأرض كلّها، وبات له القدرة على التحكّم بالطبيعة وبجسده الذى هو بعض من الطبيعة.» (نعيمه، من وحى المسيح، ١٩٧٢م: ١٧٨) فكل من يتسلّح قلبه بسلاح الإيمان فهو لا يحتاج إلى تعلّقات الدنيا؛ لأنّ هذا القلب المؤمن هو الحرّ فلا يحتاج إلى كنوز الأرض، والقلب الذى يشعر بالإيمان لقلب تنهار من حوله الشدائد، ولا ينهار بالشدائد. فالإيمان الحىّ النابض هو المعجزة الكبرى التى يوصل الإنسان إلى الحرية.

أنواع هذا الإيمان عند نعيمه نوعان: الإيمان الأعمى، وهو الإيمان الذى يبعثه الخوف فى نفس المؤمن ويثرثر به اللسان، ولا يمسّ شغاف القلب وهو أضعف الإيمان. ولكنّه خير من اللإيمان. يرى نعيمه أنّ الخوف والإيمان نقيضان اللذان لا يجتمعان. أمّا الإيمان المبصر فهو حصيل التأمّل العميق فى بحر الحياة اللامتناهى. ومن شأن مثل ذلك التأمّل أن يبصر قلب الإنسان يفتحه أمام النوايا الطاهرة فتملأه محبة وخير وسخاء وأن يفتح فكره لمعجزاتها فتملأه دهشة. والإيمان الأعمى فى الواقع عدوّ الإيمان وموآهب الإنسان. إنّ إيمان الشفافة دون القلوب. كل إيمان لا تقدم على الوعى والمحبة هو تخدير للإيمان والإيمان المخدّر هو أشدّ خطراً على الناس من العقل والمخدّر والضمير المخدّر (المصدر نفسه: ١٧٥)، فكثيراً ما يستحسن نعيمه الإيمان المبصر على الإيمان الأعمى لأنّه مساعد الإنسان فى سبيل المعرفة إلى الحرية وهذا الإيمان هو السلاح القوى الذى لم يزل ولا يزال مستسلماً أمام الدهر.

والزمان الذى يسلّح بالإيمان لا يفقد حرّيته الروحية ولا يسيطر عليه أىّ خوف إلّا خوف الله. فالإنسان المؤمن هو الإنسان الحرّ بمعنى الحقيقى للكلمة، «مَنْ كان أسير الله كان حرّاً من غير شك.» (نعيمه، ١٩٧٥م: ٢٢٨) فليس جدير بالإنسان أن يكون عبداً لأحد إلا الله وهى الحرية نفسها. وأمّا المحبة فهى طريق الوصول إلى هذا الإيمان

عند نعيمة؛ كما يقول: «لا الإيمان يقوم بغير المحبة. ولا المحبة تقوم بغير الإيمان. فكأنهما التوأمان المتلاصقان لآ حياة للواحد إلا في حياة الآخر.» (نعيمة، من وحي المسيح، ١٩٧٢م: ١٨٤)

وفي النهاية نشير إلى الإيمان الذي يدعو إليه نعيمة، فهو غير الرهب والفقر وقبول الذلة والهوان بل هو القدرة والشجاعة والكنز الروحي، كما يقول: أما "الإيمان" الذي دعوت إلى استعادته والاعتصام به فهو غير الخنوع والاستسلام والخوف والقناعة بالذل والفقر والمسكنة. إنه القدرة التي تدرك حدود العقل فتخطاها إلى حيث تتكشف الحياة عن ثروات روحية أين منها ثروات الذهب الأصفر والأبيض والأسود؟» (نعيمة، ج ٢، ١٩٧١م: ٢٠٠)

### عوائق الوصول إلى الحرية

لكل إنسان هدف في حياته، ولا تخلو الأهداف من الصعوبات والموانع مهما كانت سهلة، فعندما يقصد الإنسان الحرية كالمهدف الأفضل في حياته، فهذا الهدف ليس بعيدا عن المشقات والموانع. إننا بعد دراسة آثار نعيمة استخرجنا هذه الموانع في سبيل الحرية وقبل أن نقوم بها، نقول مادام الإنسان يعيش في حاجات جسده وهي تتكاثر باستمرار، فهو عبد لحاجاته بعيد عن الحرية. عندما صار الإنسان أسير الدنيا وظواهرها الكاذبة فيبتعد عن هدفه الحرية، فيرى نعيمة: «من خدم الدنيا لأجل الحق بل طمعا بما فيه من ملذات أصبح عبدا ذليلا لها وظل بعيدا عن حرية الحق» (نعيمة، في مهب الريح، ١٩٧٢م: ٢٦)، فخدام الدنيا عبد لها بعيد عن طريق الحرية.

### العوائق الرئيسية في سبيل الحرية

#### الشهوات الخمس

يقول نعيمة: «من زمان دفنتُ خمساً من شهواتي: شهوة السلطان، وشهوة الغنى، وشهوة النساء، وشهوة الشهرة، وشهوة الخلود» (نعيمة، كرم على درب، ١٩٧٢م: ٧٦)؛ وأما شهوة الخلود فلا يستطيع أحد السيطرة عليها. وهذه الشهوة هي عامل النشاطات والحركات فيهم. ومن هذا المنظر هذه الشهوة من الصفات الحسنة وحتى تستطيع أن

توصل الإنسان إلى الحرية في حياته فلا تعدّ من الموانع. وأمّا شهوات الأربع الباقية:

### الف) شهوة السلطان

يعدّها نعيمه من الصفات الرذيلة التي تمنع الإنسان من الوصول إلى الحرية خاصّة الذين يتنافسون ويتخاصمون للوصول إليها بطرق غير الصحيحة والوسائل الشيطانية كالجِدال والقتال وضروب الخداع والكذب والنفاق. فعلى الإنسان أن لا يعتنى بالجاء والثروة والسلطة ومغرياتها لأنّ الذي يحرص الوصول عليها فهو إنسان مسجون. ينتقد نعيمه جهل العالم وعدم فهمه، فالعلم يسعى بإخفاء هذا الجهل وعدم الفهم عن طريق السلطة الواهية الكاذبة؛ السلطة التي لا تنفكّ تبرم معاهدات الهجوم والدفاع مع القوّة الزائفة. والالتئان مع تسلّمان قيادتهما إلى الرعب والخوف. هكذا سير السلطة في العالم، وهذا سبب دفع الجزية في العالم بسبب الجهل، فيرفض السلطة العالمية وأصحابها لأنّهم وأعمالهم مانع في طريق المعرفة والحرية والعدالة. وفي النهاية نشير إلى صلة نعيمه بالسياسة كما يقول نفسه: «بيني وبين السياسة يا صاحبي مثل ما بين الزيت والماء وإذا أنا رجحت النيابة والوزارة خسرت نفسي، وهدمت في لحظة ما بنيته في سنين. ونفسي أعزّ لديّ من أيّ منصب سياسي. والذي بنيته أحبّ إلى قلبي وأجمل في عيني من أن أضحيّه في سبيل نيابة أو وزارة.» (نعيمه، ج ٣، ١٩٧١م: ٩٠)

### ب) شهوة الغنى

الحرص ينشأ من حبّ الجسم فيدفع الإنسان نحو الحيوانية لأنّ الحريص هو كالشيطان. الحرص والطمع في أمور الدنيا وحبّ الثروة فوق رفع الحاجات الضرورية حاجز أمام الوصول إلى الحرية كما يقول نعيمه: «خازن المال خزائنه فارغة.» (نعيمه، كرم على درب، ١٩٧٢م: ٤٥) المال في رأيه عدوّ ما من صداقته بدّ. ذلك لأنّنا خلقنا حولنا جوابات فيه المال ذا سلطان لا يدانيه أيّ سلطان. فعندما يجرّ الإنسان من سجن المال والثروة فعندئذ يستطيع أن يجد الله في نفسه ويعرفه وهذه المعرفة توصله إلى الحرية. نعيمه يخاف من المال، لأنّه خالق الحروب والنزاع، كما يعتقد أن الذي يغرق في المال والثروة يفسد ضميره ويزيل صفاته الحسنة الكريمة في ذاته. الذي يغوص في الغنى

والثروة يجعل المال معبوده الذي لا يقبل شريكا في عبادته فهكذا كل ما في العالم من الغذاء، والماء، والثوب، والدواء والنور والهواء وسائر حاجات الإنسان كلّها مخلوق المال لاشيء آخر. إنه يرى أن «المال شحيح بخيل أكثر ممّا تصوّره في الأرض.» ويقول: «أنسى ما تعبدت يوما للفلس، ولا مكنته من قلبي وفكري، ومن زمام حياتي. بل كنت، وما برحت، أقنع بما يأتييني منه "جزاء" عمل أعمله ولا أخجل به أقمته لها في نهاية ذلك الطريق. إمّا إن تكون لى ثروة طائلة فأمر ما تمنيتيه في أئى بالأدران والرزايا، إلا إذا طهرته نية صالحة وعمل صالح.» (نعيمة، ج ٣، ١٩٧١م: ٩١)

بالنظر إلى هذه الرؤية لنعيمة في المال والثروة، يعتقد: «الفقر ليس عارا، وإنما العار في الذلّ والاستكانة للفقر. والفقر دون الذلّ والاستكانة أعظم مدرسة في الأرض.» (نعيمة، ١٩٩٣م: ١٠٩) إنه يرى «زوال النعمة بعض من دوامها.» (نعيمة، كرم على درب، ١٩٧٢م: ٨٩) لأنّ النعمة والثروة عدوّ نفس الإنسان عندما لم يستحسن الإنسان استعمالهما. جدير بالإشارة إلى قناعته في حياته الساذجة البعيدة غير المخدوعة لمظاهر الدنيا عندما يقول: «فقدت محفظة نقودي، فقال لى قائل: لعلها هى التى فقدتكم حالما اهتدت إلى من هو أحق منكم.» (المصدر نفسه: ١١٦) «حيث يكون كنزك يكون قلبك. لذلك إذا شئت أن لا يذهب قلبك بذهاب كنزك فلا تكنز لك ما هو عرضة للتلف والضياع: «لا تكنزوا لأنفسكم كنوزا فى الأرض حيث يرعى السوس والعتّ وينقب اللصوص فيسرقون. بل اكنزوا لأنفسكم كنوزا فى السماء حيث لا يرعى السوس والعتّ ولا ينقب اللصوص فيسرقوا.» (نعيمة، من وحى المسيح، ١٩٧٢م: ٨٧)

فى خاتمه هذا البحث تقدّم الكلام القيمّ الذى ورد فى نهج البلاغة فى رفض ظواهر الدنيا الزائلة: «لاتجزعوا من ضرّائها وبؤسها، فإنّ عزّها وفخرها إلى انقطاع، وإنّ زينتها ونعيمها إلى زوال، وضرّاءها وبؤسها إلى نفاذ، وكلّ مدة فيها إلى انتهاء، وكلّ حىّ فيها إلى فناء.» (الإمام على (ع)، خ ٩٩: ١٦٥) فملذّات الدنيا ليست إلا ظواهر خادعة فىجب علينا نبتعدها ولا نجعل أنفسنا أسيرها.

### ج) شهوة النساء

هذه الشهوة ميل فطرى فى وجود الإنسان وعندما تحقّق فى إطار العرف والشرف

شئ جيد، أما عندما لا يتوجّه الإنسان بهذا الإطار ويهدف شهوة النساء بقصد المتعة فعندئذ هو أسيرها ويكون في قيد أميال نفسه الرذيلة فينحرف عن طريق الحرية. «وأما الشهوة الجنسية فقد تحوّلت بالموت إلى شئ جميل جداً إلى زنبقة بيضاء، هيفاء» يرمز بها نعيمه إلى العفة (نعيمه، ج ٣، ١٩٧١م: ٨٩)، فالعفة هي أساس الحبّ ودرع لها، والخضوع أمام هذه الشهوة يقتل الحبّ العفيف. في رأيه العلاقات الجنسية مصدر المشكلات والأزمات في العالم. إنه يقترح بالرجل أن يعرف قلب المرأة وقيمتها، فعندئذ يستطيع أن يعرف قلبه ويقول له: «الرجل الذي لا يحاسب نفسه أدق الحساب عن علاقاته بالمرأة تحاسبه الحياة أقسى الحساب عن استهتاره بمقدّساتها، وتدنيته الإناء الطاهر الذي اختارته مستودعا ومرحما لبدارها.» (نعيمه، ج ١، ١٩٧١م: ٢٧٣) أعنف الشهوات عنده هو شهوة النساء لأنّ الذي تسيطر هذه الشهوة السوداء على قلبه فهو ليس بحرّ؛ لأن قلبه وروحه في أسر هذه الرذيلة. إنه يعتقد أن الزواج «ليس تزواج أفكار وقلوب فقط. بل تزواج أجساد كذلك. وأقرب الزواج إلى السعادة ما ارتكز على تجاذب فكريّ وقلبيّ وجسديّ، لاعلى واحد من هذه فقط...» (نعيمه، ج ٢، ١٩٧١م: ٣١٧) فعندما يخلو قلب الإنسان من هذه الشهوة، فهو يستطيع أن يسير في طريق الحرية.

#### (د) شهوة الشهرة

نعيمه لم يكن رجلا سياسيا أو اقتصاديا بل كان أديبا كاتباً عاش حياة ساذجة بعيدة عن الإكثار في حاجات العيش وإن طلب الشهرة في حياته فهو في مجال حياته الأدبية، ولكن هذه الحياة ليست بمجرد كسب الشهرة فقط، كما يقول نفسه: «أما شهوة الشهرة فقد كان لها في أول عهدي بالكتابة مركز الموجه الأول والقائد الأعلى أقراني يلازمي بشكل عنيف، فلا أجرؤ على البوح به لأحد في الناصرة. وتبلور وتركّز في السنوات التي أمضيتها طالبا في روسيا... ولم يبق شكّ عندي أن الميدان الذي كان يغريني أن أكسب فيه شهرتي هو ميدان الأدب وحده. (نعيمه، ج ٣، ١٩٧١م: ٩١)

إن الشهرة عندما تُطلب طلبا كثيرا تتبدّل مانعا في سبيل حياة الإنسان لأنّها تدفعه نحو الأسر في سجنها. فيذهب أن الشهرة شئ له زوال. فليست الشهرة شيئا أن يحبّها

الإنسان حبًا كثيرًا؛ لأنّه يمكن زوالها في كل دقيقة وكل ثانية. يقول نعيمة في كلامه القصار: «الكبرياء والذلّ توأمان متلاصقان» (نعيمة، كرم على درب، ١٩٧٢م: ٢٠)، فالذى يغرق في بحر الشهرة دون شكّ يُصاب بأموج الغرور والتكبرّ وفي النهاية يصاب بالذلة والهوان وموت الروح بيد هذه الشهرة القاتلة. والذى كان أسيرًا في يد هذه الشهوات ليس إنسانًا حرًا لأنّه بعيد عن الفضائل الأخلاقية، كما يقول أحمد أمين: إن شهوات النفس غير متناهية فإذا أعطها المراد من شهوات وقتها فيصير الإنسان أسير الشهوات لا تنقضى وعبد هوى لا ينتهى، ومن كان بهذه الحال لم يرج له صلاح، ولم يوجد فيه فضل. (أمين، ١٩٦٩م: ٢١٣-٢١٢) فأفضل الطريق في حياة الإنسان أن يهتم بهذه الشهوات في حدود المعقول وفي إطار الأخلاق. ومحاربتة أهواء النفس تؤدى إلى اقترابه من السلام والأمنية. وفي نهاية هذا البحث نشير إلى هذا الكلام: «ضابط نفسه كراكب الفرس الذلول يقصد حيث أراد فيوجهها كما يشاء، ومن لم يضبط نفسه كراكب الصعبة، لايسيرها كما يهوى، ولا يصل إلى غرضه بالسير كما تهوى؛ في ضبط النفس حفظ الصحة وطمأنينة العقل والسعادة والحريّة وسلطان كسلطان القائد على جنده أو الربان الماهر على سفينته.» (أمين، ١٩٦٩م: ٢١٩)

وبعد التطرق إلى هذه الشهوات نذكر بعض الصفات الرذيلة التي تعرقل الإنسان في سبيل وصوله إلى ذروة الحرّية:

#### الحسد

الحسد هو الصفة السيئة التي يغطى قلب الإنسان ويبعده عن الصفاء والصدّاقة كما روى عن النبي (ص): "الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب". يعتقد نعيمة هذه الرذيلة الأخلاقية بداية للرزائل الأخرى كالغضب والغرور والظلم والكثير من الصفات السيئة التي أشدها الغضب. وأما كلامه القيمّ حول هذه الرذيلة فإن «للحسود ألف عين. ولكن في كلّ عين ألف جمر» (نعيمة، كرم على درب، ١٩٧٢م: ٤١)، فهو ينهى الحسود عن الحسد؛ لأنّه النار المشتعلة التي تحترق صاحبه قبل أى شخص. هذه الرذيلة مانع في سبيل الحرّية والمعرفة والإيمان الحقيقي وسبب الجدل بين الناس. إنه في الحقيقة يمنع الإنسان أن يكون حرًا لأنّه في قيد حسده الذى يؤذيه؛ فلا يستطيع أن يكون حرًا.

## الجهل

الجهل هو عدو قوَى أمام الحرّية، «حيث يكون الجهل لا يمكن للحرّية أن تكون.» (نعيمه، الآباء والبنون، ١٩٧٢م: ١٣١) كما أشرنا سابقاً أن المعرفة طريق الوصول إلى الحرّية ولكن عندما لا يعرف الإنسان نفسه، لن يعرف خالقه الله وعندئذ هذا الجهل مانع أمام سيره في سبيل الحرّية وعندما يجارب الإنسان هذا الجهل ويعرف الله يستطيع أن يتحرّر. الجهل - لو عرفه صاحبه. هو الطريق إلى المعرفة، فالجهل مانع الحرّية ومحاربه طريق الوصول إلى الحرّية. يعتد نعيمه الجهل رذيلة تثير نار الغضب والتكبر والغرور، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: ١٨) فالتكبر من الصفات السيئة التي يهلك الإنسان ويظلم قلبه كما نرى هذا الأثر السوء منذ بداية خلق الإنسان عندما تكبر إبليس ولم يسجد أمام آدم فأصاب بدعاء الناس عليه، كما قال الله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٤) فعلى الإنسان أن يهرب من الجهل لا من الجاهل فيذهب نعيمه أمام الجاهل مذهب التساهل ويوصى الإنسان بمداورة الجاهل. عندما يقول: «لا تهربوا من الجاهل واهربوا من الجهل. لأنكم عندما تهربون من الجاهل لا تهربون إلا من أنفسكم. أما هربكم من الجهل فهو اقتراب من المعرفة.» (نعيمه، زاد المعاد، ١٩٧٢م: ٥٩) الجهل عامل إثارة النزاع والحرب، والاختلاف والظلم، بينما دون الجهل، يعيش الإنسان في عالم السّلم والتفاهم والصدقة، إنه يرى أن «قلبا جاهلا لقلب مزدوج. والقلب المزدوج يخلق عالما مزدوجا. والعالم المزدوج يولّد أبدا نزاعا وحروبا. بينما القلب الفاهم قلب موحد. والقلب الموحد يخلق عالما موحدًا - والعالم الموحد عالم سلم أبدي. إذ لا بدّ للحرب من خصمين.» (نعيمه، ١٩٧٥م: ٢٣٣-٢٣٢)، فالجهل عامل القلب المزدوج غير الموحد الذي يقود الإنسان إلى شفير الهلاك. الذي يكون جاهلا سيكون أسير القلق والخوف والنزاع وفي النهاية الموت، وهذه كلّها ليست إلا ثمار الجهل.

إن الجهل منشأ الكثير من الأمراض الاجتماعية، واهتمام الكثير من الدول زوال هذه الأزمة. يقترح نعيمه على الإنسان بالخلاص من الجهل اقتراحا مباشرا صريحا

وهو: «يا ويل الناس من التقاليد وتعاويز التقاليد!». و«إنّني أعيدكم من التقاليد وسلطانها». (نعيمة، زاد المعاد، ١٩٧٢م: ١٣٠ و١٢٨) فهو يُعدّ التقاليد والسنن الماضية سدا منيعا أمام محاولة الإنسان للوصول إلى المعرفة والحرية؛ لأنّه يرى هذه التقاليد عامل أساسى يؤدى إلى الجهل المطبق، ويدعو الإنسان في هذا المجال إلى التجديد. كما يدعو إلى الحرب مع أعداء نفسه وفي رأيه أبغض هؤلاء الأعداء هو الجهل. الإنسان الجاهل لا يستطيع التمييز بين الحقّ والباطل وبين الصدق والكذب، وهكذا سيبقى في جهله إلا عندما يتحرّر من قيد التعصّبات والتقاليد العمياء، ويرى ليس فقر أعظم من الجهل وعدم المعرفة والفهم. وفي نهاية هذا نشير إلى كلام نعيمة حيث يقول إنه «ما من مصيبة إلا الجهل». (نعيمة، مذكرات الأرقش، ١٩٧١م: ٤٧) فالجهل هو عامل الأزمات والمصائب في حياة الإنسان.

## الظلم

يدعو نعيمة الإنسان إلى البعد عن ظلم الظالمين. وينزع نزعاً التسامح في هذا المجال: «لا تكرهوا الظالم، وكرهوا الظلم. لأنّكم إن كرهتم الظالم كنتم ظالمين مثله. وإن أحببتموه عرفتم العدل ورددتم الظالم إليه» (نعيمة، زاد المعاد، ١٩٧٢م: ٥٩)، ولكن في رأينا ليست المداراة مع الظالم مجدير؛ لأنّها توفّر الطريق لظلمه. ويتحدّث عن الظلم الذى ارتكبه الإنسان في الحروب، ويرى ليست هذه الحروب ظالمة بل الظالم هو الإنسان. الظلم يظلم قلب الإنسان، ويسود روحه بحيث لا يجد طريقاً إلى الحرية؛ لأنّه يبقى في سواد ظلمه. وعندما يخيّم الجور على الإنسان وأعماله فهو قاسى القلب ولا يعرف المحبة والعدالة فهكذا هو أسير بيد ظلمه وليس حراً.

## الكذب والخيانة

أشد ما يؤلم روح نعيمة ويعدّبه هو الكذب وعدم الصداقة كما يقول نفسه: «يؤلمنى أشد الألم أن ينزلق لساني روحى، إلى الكذب». (نعيمة، اليوم الأخير، ١٩٧٢م: ٩) كما يقول: «الكذب أحبولة لاتصطاد إلا الكذوب». (نعيمة، كرم على درب، ١٩٧٢م: ٣٣) فكما يقترح الأستاذ أحمد أمين هناك طريقة واحدة للصدق وعدم الكذب وهو: «أن

يقول الإنسان الحق، كل الحق، لا لشيء غير الحق.» (أمين، ١٩٦٩م: ١٩٩) وعندما يكذب الإنسان غيره كأصدقائه وأهله فهو يكذب نفسه أيضا، فعلينا أن نهرب من هذه الصفة السيئة. فأفضل الفضائل وأحسن الصفات هو الصداقة والبعد عن الكذب. وأما الخيانة فهي جهيض الأمانة. (نعيمه، كرم على درب، ١٩٧٢م: ٧٢) فالكذب والخيانة صفتان رذيلتان تبتعدان روح الصدق عن نفس الإنسان وتضعبان سيره نحو الحرية.

وأما بعض نصائح نعيمه حول البعد عن هذه الصفات الرذيلة:

«لا تحتقروا أحدا من الناس. فخير لكم أن تكونوا محتقرين من جميع الناس من أن تحتقروا إنسانا واحدا. لأنكم إذا احتقرتم أى إنسان احتقرتم الإله المشمول فيه. وإذا احتقرتم الإله المشمول فى أى إنسان فكأنكم احتقرتموه فى نفوسكم. وإن أنتم احتقرتم الإله المشمول فيكم هو دليلكم إلى الميناء، إلى الإله الشامل فكيف ترجون أن تبلغوا ميناءكم؟» (نعيمه، ١٩٧٥م: ٣٠٣)

إنه ينهى الإنسان عن البغض قائلا: «وأنتم إن تخلصتم من ضرر مسوس باقتلاعه فكيف تقتلعون قلبا نخره سوس الحسد أو البغضاء أو الخيبة؟» (نعيمه، زاد المعاد، ١٩٧٢م: ٦٧) يؤيد نعيمه ضربا من البغض وهو البغض على ما فى الناس من ضعف وإثم. فعلى الإنسان أن ينزع ثوب البغضاء لأنها «تفصلكم عن الإنسان أو الشيء الذى تبغضون. وما دمتم منفصلين عن أى شيء أو أى إنسان بقيتم منفصلين عن الله الكائن فى ذلك الشيء وذلك الإنسان» (المصدر نفسه: ١٣٩)، فالبغض يبعد الإنسان عن الله لأن الذى يسود قلبه بالبغض لا يعرف الله.

إنه يرى كل هذه الرذائل «عقالات للروح وحجارة رحي فى عنقه. والله ليس فى شيء منها. أما السبيل إلى الله فسبيل التعرى» (المصدر نفسه: ١٣٩)؛ فعلى الإنسان أن يهرب من الشيء الذى ليس فيه لون من الله.

القلب المطمئن يجد طريقه ويسلكها دون الرعب، ولكن القلب الخائف لا يستطيع الشعور بالحرية لأنه فى قيد خوفه. وأما نكبات الحياة فى رأى نعيمه فهى: «أن تنتفس الهواء لنحيا ثم أن ننفث فى الهواء، سموم أحقادنا وأطمانا لنميت ونموت.»

(المصدر نفسه: ٩٢-٩١)؛ كما يقول: «هي النكبة أن تسقينا الأرض من عصير قلبها الطاهر فنسقيها من دماء قلوبنا الممزقة بشفار بغضائنا وأهوائنا.» (المصدر نفسه: ٩٢) إنه بعد هذه النصائح القيّمة يتحسّر على إنسان اليوم، فيقول: «وخطيئة هو اهتمام الإنسان بمجالاته الدنيويّة أكثر من اهتمامه بمجالاته الروحيّة... وخطيئة هو الرياء والدّجل والتظاهر بما ليس في القلب وكأنّه من القلب في الصميم.» (نعيمة، من وحي المسيح، ١٩٧٢م: ٧٢-٧١)

إنه يعدّ هذه الموانع في سبيل الحرية من الأسباب الرئيسية للحروب أيضا: ومثلما للحروب الدامية أسلحتها الفتاكة كذلك للحروب غير الدامية أسلحتها التي تفتك بالأجساد والأرواح معا، ولكن بطريقة بطيئة وغير منظورة. ففعلها هو فعل الجرائم الخبيثة في الخليّة الحيّة. من هذه الأسلحة: البغض، والحقد، والفسق، والحسد، والخداع، والتفاق، والدهاء، والطمع، والجشع، وحبّ المجد والجاه والسلطان والمال.» (المصدر نفسه: ٢٥٨) الذي له نفس كبيرة يسير في سبيل العلوّ والتبّل والصفات السامية: «من كان ذا نفس كبيرة كان أنبل من أن يغتاب أحدا من الناس أو أن ينمّ على أحد من الناس. فالغيبية والنميمة أقدار لا يستطيع التغلغل في أجوافها التنتنة والانتشاء بروائحها الكريهة إلا صغار النفوس... ومن كان ذا نفس كبيرة كان أبعد الناس عن التبجح. والذي نفسه كبيرة لا يكبر على أيّ إنسان، ولا يذلّ لأيّ إنسان. فهو يعلم أن كرامته لا تُصان إلا إذا هو صان كرامة الغير، وإن كرامة تقوم على مذلة الغير لمذلة في ثوب الكرامة وشرفه أرفع من أن يكون ذلك الشرف الذي لا يسلم من الأذى حتى يراق على جوانبه الدّم. (نعيمة، دُروب، ١٩٧١م: ٧٩-٧٨) فيرى جمال الحياة في الصدق والعفة لا في الكذب والفسق والتكبر.

يعتقد نعيمة بأن الذي في قلبه صفة رذيلة كالحقد والفسق وحبّ المال والسلطان والكذب والرياء، فله روح فقير؛ كما يقول:

كل منافق أو سارق أو فاسق، فقير.

كل غضوب أو حقود أو ناقم، فقير.

كل حسود أو نمام أو مُراء، فقير.

كل مزهوٌّ بمال أو جمال أو سلطان، فقير.  
 كل مغرور بأصله أو بفصله أو بعمله، فقير.  
 كل معتزٌّ بقلب أو وسام أو منصب، فقير.  
 كل من كان ذئباً في جلد حمل، فقير.  
 كل من أكل خبزه بعرق جبين غير، فقير.  
 كل من أذلَّ جاره ليعتزَّ، وأجاعه ليشبع، فقير.

كل من ركب هواه وجهل مبتداه ومنتهاه، فقير. (نعيمه، صوت العالم، ١٩٧٣م: ٢٠٤)  
 فعندما يسير الإنسان في سبيل الله سيراً خالصاً فطبيعياً أن يبتعد عن هذه الموانع والصفات الرذيلة. فعندما الإنسان يصلح نفسه ويسير في الطريق الصحيح يصل إلى قمة الحرية التي بذرها في ذاته وعندئذ يستطيع إصلاح مجتمعه، فالمجتمع الصالح قائم على الأفراد الصالحين، و«الإنسان حر بالطبع، وحرية أعظم ما يملك. كل ما من شأنه أن يشلها هو إذن جائر. فإذا أردنا إقامة مجتمع عادل، وجب علينا اكتشاف شكل ترابط يتميز بصفتين: الأولى أن لن يحمى كل إنسان، الثانية أن لا يعيق حرية أى فرد. (كريسون، ١٩٦٢م: ٢٤٨-٢٤٧) على الإنسان الذي يهدف الحرية أن يبدأ طريقه بنفسه، ويظهر قلبه من الآفات البشرية كالحسد والبغض والظلم والرياء والحقد والكبرياء. وبعد أن تغلب على تلك الآفات فتحل محلها الفضائل والحسنات التي تؤدي إلى الرجاء والفهم والإيمان وفي النهاية تسهل له طريق المعرفة.

### النتيجة

قد دعا نعيمه إلى بناء المدينة الفاضلة التي من أهم أركانها الحرية تحت سيطرة القيم الأخلاقية السامية. وفي رأيه أقدس الواجبات في حياة الإنسان هو المجاهدة في سبيل حرية النفس.

إنه في نزعتة المثالية يتحدث عن الحرية بمعناها الروحي المطلق بحيث يتصل كلامه عن الحرية بكلامه على المعرفة، والإيمان والوعي والإرادة وما دامت هذه الحرية وسيلة يمكن بها للخلاص. هذه الحرية التي يقصدها نعيمه ستحقق عن طريق معرفة الإنسان نفسه وعن طريق الإيمان. وبين المعرفة والحرية صلة وثيقة بحيث هما لا ينفصلان، كما

الإيمان سلاح قوى في كسب الحرية الروحية.

وأما المعرفة فهي غاية حياة الإنسان، وقصده منها هو معرفة النفس، ومعرفة الله، ومن يصل إليها تحقق له الحرية المثلى. إنه يرى حرية الإنسان في نفسه لا في شيء آخر أو مكان آخر. وعندما يكون الإنسان طاهر القلب والفكر فعندئذ له نفس حر يستطيع السيطرة على أفكاره وطموحاته.

إن الحرية هبة إلهية قدّمت للبشر، ولا يقدر أن يسلبها أحد، والجدير بالإنسان أن يسعى في صيانتها. والثورة على الركود والتقاليد والقيود الأرضية هي طريق النجاة والوصول إليها.

إن شهوة المنزلة الاجتماعية وشهوة الغنى وشهوة النساء وشهوة الشهرة من أهم موانع الإنسان في الوصول إلى الحرية، أمّا شهوة الخلود فيعدّها شى مجيد.

إنه يدعو الإنسان إلى الابتعاد عن الحسد والبغض والخوف والطمع وحبّ الدنيا؛ لأنها أعداؤه في سبيل الحرية. حيث يكون الجهل ليس للحرية مجال فعلى طالبها أن يسعى نحو المعرفة لقتل الجهل وعندما نهتم بأدب نعيمه فنراه منذ عرف الكتابة حتى نهاية عمره خدم المجتمع البشرى في سبيل الفضائل الأخلاقية والنهي عن الرذائل الأخلاقية.

يمكن القول إنه وصل في حياته إلى الحرية الحقيقية؛ لأنه كثيراً ما ينادى بالقيم الأخلاقية وينهى عن الرذائل التي هي موانع الوصول إلى الحرية وعندما ندرس شخصية هذا الأديب الكبير، يثبت لنا هذه الحرية اثباتاً.

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

نهج البلاغة.

أمين، أحمد. (١٩٦٩م). الأخلاق. بيروت: دار الكتاب العربي.

خفاجي، محمد عبد المنعم. (١٩٨٦م). قصة الأدب المهجري. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

زكا، هدى فؤاد. (١٩٦٢م). «المناحي الفكرية في أدب ميخائيل نعيمة» أطروحة الماجستير.

الجامعة الأمريكية. بيروت.

الفاخوري، حنا. (١٩٨٦م). الجامع في تاريخ الأدب العربي. بيروت: دار الجيل.

- كريسون، اندريه. (١٩٦٢م). تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث. ترجمة رضا، نهاد. الطبعة الاولى. بيروت: منشورات عويدات.
- المطهرى، مرتضى. (١٩٤٠ق). الإنسان والقدر. ترجمة التسخيري، محمد علي. طهران: مركز إعلام الذكرى الخامسة لانتصار الثورة الإسلامية في ايران.
- مطهرى، مرتضى. (١٣٨٤ش). آزادى معنوى. ط ٣٣. انتشارات صدرا.
- نعيمة، ميخائيل. (١٩٧٢م). كرم على درب. ط ٦. بيروت: مؤسسة نوفل للطباعة والنشر.
- \_\_\_\_\_ (١٩٧٣م). صوت العالم. الطبعة السادسة. بيروت: مؤسسة نوفل للطباعة والنشر.
- \_\_\_\_\_ (١٩٧٢م). زاد المعاد. الطبعة السابعة. بيروت: مؤسسة نوفل للطباعة والنشر.
- \_\_\_\_\_ (١٩٧٣م). النور والديجور. الطبعة الخامسة. بيروت: مؤسسة نوفل للطباعة والنشر.
- \_\_\_\_\_ (١٩٧٢م). في مهب الريح. بيروت: مؤسسة نوفل للطباعة والنشر.
- \_\_\_\_\_ (١٩٧٢م). الآباء والبنون. الطبعة السادسة. بيروت: مؤسسة نوفل للطباعة والنشر.
- \_\_\_\_\_ (١٩٧٢م). اليوم الأخير. الطبعة الرابعة. بيروت: مؤسسة نوفل للطباعة والنشر.
- \_\_\_\_\_ (١٩٧٢م). في الغربال الجديد. الطبعة الخامسة. بيروت: مؤسسة نوفل للطباعة والنشر.
- \_\_\_\_\_ (١٩٧١م). دروب. الطبعة الخامسة. بيروت: مؤسسة نوفل للطباعة والنشر.
- \_\_\_\_\_ (١٩٧٥م). مرداد. بيروت: مؤسسة نوفل للطباعة والنشر.
- \_\_\_\_\_ (١٩٧١م). سبعون في ثلاث مجلدات. الطبعة الرابعة. بيروت: مؤسسة نوفل للطباعة والنشر.
- \_\_\_\_\_ (١٩٧٤م). جبران خليل جبران. الطبعة السابعة. بيروت: مؤسسة نوفل للطباعة والنشر.
- \_\_\_\_\_ (١٩٧٢م). من وحي المسيح. الطبعة الخامسة. بيروت: مؤسسة نوفل للطباعة والنشر.
- \_\_\_\_\_ (١٩٩٣م). أبوبطة. الطبعة العاشرة. بيروت: مؤسسة نوفل للطباعة والنشر.
- \_\_\_\_\_ (١٩٧١م). مذكرات الارقش. الطبعة الخامسة. بيروت: مؤسسة نوفل للطباعة والنشر.
- \_\_\_\_\_ (١٩٧٣م). أحاديث مع الصحافة. بيروت: أ. بدران وشركاه.
- \_\_\_\_\_ (١٩٧٣م). يا ابن آدم. الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة نوفل.